



الغصرية

للدكتور احمد زكي

يحسن أن تكثر فيه الملح والنكات . أما وقد أرادت أن
تمجد قومها بتجريد غيرها من الأقوام ، وأن تزيد في أولئك
باتقاص هؤلاء ، فقد أثارت حفاظ الأمم ، وأيقظت عزة
الأجناس البشرية ، فاستقاموا في جلساتهم يستمعون لجد
حسبه مزاحا ، وتفطبت من جباههم أساور للتفكير ، بعد
أن كانت قد انبسطت وجوههم بالبشر ، وذلك لما رأوا
المهزلة تسحيل إلى مأساة ، ووجدوا النازية تطرح على كتفها
روب الأستاذ العالم الاثروبولوجي ، بنظر في أصول الأمم ،
ويقدر قيم الأصلاب ، ويضع الخلق في منازل تعلوها جميعاً
تلك النطف الجرمانية التي أذخرتها الآلهة على الأجيال ،
لتتحد إلى الوجود في القرن العشرين فتكون للناس سادة
أمثالا ، وتكون هدى وبشرى للعالمين . وكل ذلك باسم العلم
لذلك تصدى للرد على هذه النظرية التي اتخذت صورة
علية رجال من رجالات العلم ، ولعل أكثر هؤلاء اعتدالا
رجل متحدر هو نفسه من أصلاب جرمانية ، ذلك هو
(المكروم بيسل) الأستاذ بجامعة كاليفورنيا . قال :

قل من يخالف في أن الجنس الجرمانى جنس عظيم ،
وأما أنه أعظم جنس كان في كل زمان ومكان ، وأن كل مدينة
كانت وتكون ، اعتمدت وستعتمد على هذا الجنس ، فذلك
مالا تحتمله أكبر الخبيلات لإسرافا ، ولا تنسح له أكثر
العلوم دخاوة وساحة . ومثل هذه المغالاة ، لاسيما اذا
استعير لها ل أن العلم ، ستظل دائما نذيراً بأن الانسان لا تزال
عواطفه سيده عقله ، وهواه حاكم صوابه . يدخل الأمر
نموسنا ويستأذن في لطيف على قلوبنا ، فيجهد كل أمواتنا وواقعه ،

قامت النازية الألمانية على مبادئ عدة ، منها السياسى
ومنها الاقتصادى ومنها الادارى ، ولكن لعل أخطر من
هؤلاء جميعاً رأ أكثر وروداً على ألسنة خطبائها ، وأسرع إذكاء
لحمية مستمعهم ، ذلك المبدأ العالى الذى يعتمد على القومية
الخالصة والدم الصريح ، في استنهاض الشعب الجرمانى الى كل
ما تقول به النازية وتدعو اليه من العقائد والأعمال .

لو أن النازية قصدت إلى تمجيد قومها ، وغالت في ذلك
ما شئت وشئت لها الدعاية ، لما شكا أحد ما تقول ، ولو
أنها غالت حتى ألتهتهم ، نظرت إليها الأمم بابتسامة عريضة
يستتر وراءها اغتباط هادى من تذوق فكاهة هائلة ، في عالم

ومن هذين الرباعين يكون السلم الموسيقى الشرقى العام مع
اضافة مسافة صوتية كاملة بعد الجهاركاه ليختتم السلم بحجاب مقام
اليكاه وهو النواه . ويصبح ترتيبه كاملاً كما يلي

نواه $\frac{8}{9}$ جهاركاه $\frac{2048}{2187}$ سيكاه $\frac{59049}{60536}$ دوگاه $\frac{8}{9}$
رصد $\frac{2048}{2187}$ عراق $\frac{59049}{60536}$ عشيران $\frac{8}{9}$ يكاه

بقى بعد توضيح القوارق بين تقسيم السلين الشرقى والغربى ان
نذكر شيئاً عن الاقنم والأوزان في كلتى الموسيقىين ، وارجو
لو استجبت قرصة قلبية ان شاء الله على صفحات من الرسالة المبله
مدحت عاصم

وكل ميولنا تناصره ، فألف هذا الأمر ، ثم نعتقه ، ثم من بعد ذلك تطلب الحجج على أنه الحق . نعتقد صواب شيء ، نعتقد أن الجرمانيين سادة الأجناس لأننا نحن جرمانيون ، أو أن النصرانية أقوم الأديان لأننا نحن نصرانيون ، أو أن هذا الحزب أمدق الأحزاب لأننا له متحزون ، ثم من بعد هذا ، ومن بعد هذا فقط ، ننظر في الأدلة لنصرة معتقدنا ، ونخرج في سهولة أو يسر تلك البراهين التي تعزز مذهبنا ، وتلك الأدلة لا شك آتية ، وتلك البراهين لا شك غير مستعصية . وبذلك نحسب أن عملية التخرج تمت ، وأن العلاقة بين السبب والمسبب استبانة ، فيؤكد بذلك معتقدنا ويزيد به إيماننا . ونحن نتبع أسلوب هذا المنطق الطريف غير شاعرين ولا دنيقطين إليه ، ويتبعه العلماء كابتدعه السوق بمثل تلك الغفلة ، فهو أسلوب متستر خفي ، أخطر ما فيه نشره وخفاؤه .

ليس في دعاوى انثارية اليوم من جديد ، فهي تكملة للدعوى التي بدأت في القرن التاسع عشر ، وهي مثل من أمثلة عدة لم يلم منها قرن من القرون ولا شعب من الشعوب ، والشعوب دائماً تسيطر على الشعوب بدعوى تفوق الجنس ، وتستغلهم بحجة قوة الدماء وخلوصها ، وتبعث فيهم حساً بمقاراة أنفسهم لفقر وخط في دماهم ، وخسة في أصولهم ، فهي إذن دعاوى للديش وأسباب للغلبة . أكثر منها دعاوى في العلم وقضايا في المنطق . ليس مذهب الجرمانية الأفرا من مذهب الآرية ، وكان من أكبر دعاة هذا المذهب وشارحيه ، الكونت جوزف دي جوينو Josef Arthur de Gobineau ، كان فرنسياً أرسطقراطياً مات عام ١٨٨٢ . ادعى جوينو أن الآريين خلّقوا ثم أمدوا بالزوج والتمر كل ما هو جميل وعظيم في الحضارة . ونسى أن يثبت وجود هؤلاء الآريين كجنس واحد بقي خالص . أن فكرة الآرية نشأت من دراسة لغات بعض الأمم الأوروبية وبعض الأمم الآسيوية ، والاهتمام إلى وجود أشباه بين تلك اللغات ، أدت إلى افتراض أنها جميعاً مشتقة

من لغة واحدة هي الآرية ، وذلك فرض على لا شبهة فيه . استتج جوينو وأشباعه من وجود لغة آرية وجود شعب آري قديم عزاليه حضارات الازمان الخوالي ، وزعم أن هذا الجنس الآري هاجر إلى شمال أوروبا فتحدثت منه الشعوب النوروتونية والانجلو سكسونية ، فهي لذلك سبب الحضارات الحالية والعلة في استمرار وجودها . وفات جوينو أن وجود لغة واحدة ليس بدليل قاطع على وجود جنس واحد ، وإن اتحاد اللغات في أمتين أو أمم ، ليس بحجة على اتحاد الأصلين أو الأصول ، فقد يمانا أعارت الأمم اللغات واستعارت ، فوجود جنس آري كالذي تحسبه النازية اليوم ، لم يقيم عليه أى دليل والعنصر الجرمانى نفسه مجهول الأصل ، وفوق هذا فلا يستطيع أحد أن يدعى له أرومة خالصة . أنه عنصر شديد قوى ، ولا شك أن اختلاط دمه بدماء أوروبا الوسطى والجنوبية كان له أثر كبير فيما حدث هناك من التقدم والارتقاء ، ولكن ما يقال في العنصر الجرمانى يقال في سائر العناصر ، فكثيراً ما أدى اختلاط عنصرين إلى عنصر جديد أشد وأكثر حياة من أصله .

على أن العلم اليوم لا يستطيع بثقة أن ينسب إلى أية مجموعة بشرية ، خصلاً خاصة عتيقة ثابتة فيها ، لأنه إلى اليوم لا يدري كيف يقيس هذه الحصال برغم ما أسموه « مقاييس النكا » ، فلك مقاييس ثبت مراراً وتكراراً أنها لا تقيس النكا . وحده وانما تقيس معه آثاراً من البيئة والثقافة لا يمكن عزلها عنه . ومع هذا لا نقف أن نسمع الخرافة الجرمانية تلوها الآرية ، وتتردد على الأسماع ، فجدا لا غريق كان بسبب غزو الجرمان ، وروما دام عزها ربي سلطاناً بقاء دما الجرمانى خالصاً صريحاً ، فلما اختلط حاق بها ما حاق ، وإسبانيا لم تستيقظ إلى ما استيقظت إليه إلا بسبب ما دخل عروقها من الدم التيوتونى ، « والنهضة » الأوروبية نفسها لم تكن الا ظاهرة جرمانية صرفة

يقولون ان الرومان والاغريقين كانوا هم في أوج عزم جرمانيين صرحاء . ليس من السهل الحكم على ما كانت تألف

في ذلك ، الذي تتضامل دونه العوامل ، والسبب الذي لا تستأهل سائر الاسباب الى جانبه ذكرنا . خطأ كبير تغذيه العاطفة ، وسهولة في تبسيط القضايا لا تيسفها العقول العلية الهادئة . من بدء أزمان لا تقدر ، الى ما قبل قرون قلائل كان الجنس الجرمانى يسكن شمال القارة الاوربية ، وكان جنسا غير مذكور ولا مأبوه له ، وكان أحط الأمم الاوربية سكانا ، فاين كانت خواصه الانسانية ، وصفاته السبائية كل تلك القرون ؟ أكان عاجزا عن خلق مدينة لنفسه ؟ أم هي المدينة نشأت عند غيره وقريبا منه ، ومع ذلك خاب برغم قرب المساس عن اقتباسها واستعارتها ؟ أم الحقيقة هي التي تقول ، ان العنصر وحده غير كاف لخلق المدينت وامتصاص الحضارات بدأت الحضارات في مصر والفرار والهند وشرق البحر الابيض ، ومشي التاريخ قدما فانقلبت مراكزها الى اواسط هذا البحر ثم الى غربه ، ثم مشى التاريخ خطوات أخرى فابتغت الحضارة بحر الشمال والمحيط الاطلسي ، وعندئذ ، وعندئذ فقط ، بدأ العنصر الجرمانى يظهر في التاريخ ، فان كان العنصر وجدده قينا بكل شيء ، فكيف ظل الجرمان ابرة كل الاحقاب بينما كانت العناصر الأخرى ، وهي وطية في زعمهم ، مخترع الحروف وتبتدع الارقام وتخط البحار بالتجارة وتبنى الدول وتقيم الحضارات

ان الجزر البريطانية تألفت سكانها في القرن الثاني عشر من نفس العناصر التي تألفت منها في القرن العشرين ، الا في السير الحقيق ، وقد كانت في اوائل القرن السادس عشر جزرا لا شأن لها ولا خطر ، ولم يمس على ذلك العهد غير قرنين حتى وجدناها قوة عظيمة في دول العالم ، فكيف جاءها هذا الشأن وذلك الخطر ، والعنصر هو هو لم يتغير ؟ أليست العوامل التاريخية والجغرافية اذن أبعد أثرا من كل ماعداها ؟ كانت الجزر البريطانية في طرف اوربا ، والحضارة متركزة في شرق البحر الابيض أو وسطه ، فلم يكن لبريطانيا ذلك المساس الذي لا بد منه لاشتغال الثقاب ، لذلك لم يكن لها في الحضارة

منه أمم قديمة كالاغريق والرومان ، ولكن من الثابت انه في العصور التي سبقت ، كانت حروب وكانت فتوح ، وكانت غلبة وكان انغلاب . وكانت هجرة وكان نشأت ، فلم يرتبط قوم بأرض ، ولم يعزل جنس بسبب ذلك عن جنس ، فلم يكن في عصر الاغريق ولا في عصر الرومان دم لم يختلط ، ولا عنصر لم يتلفح ، فكل ما يقال عن خلاص السابينين Sabines (١) والاترسكانيين Etruscans (٢) وحتى عن نقاء الرومان والاغريق ، لا يمكن تدعيمه على ما هو معروف اليوم في علم الاجناس . قالوا وشادوا بان الاسبرطيين جرمانيون خلصاء ومع ذلك أدخلهم « دكسن » Dixon في عداد الاليين Alpines . وقالوا وشادوا بان الاترسكانيين جرمانيون خلصاء ومع ذلك قال عنهم هرتس Hertz مؤلف « الشعوب والمدينة » أنهم لم يكونوا من المجموعة الهندية الجرمانية ، وأن هذا ثابت بثبوت يقين

ان العنصر له أثر لا ينكر في احداث المدينت وتشية الشعوب ولكن هناك أمور أخرى لا تقل آثارها عن أثره ، ولا تتجه عن نتائجه ، وهي تلك التي ينكرها المتصنفون من دعاة العنصرية وغلاتها . ليس من العلم في شيء أن ننسب عظمة الاسبان مثلا الى دخول الدم الجرمانى اليهم ، وسقوطهم الى دخول دماء أخرى غير جرمانية ، ثم نفعل العوامل التاريخية والجغرافية الكبرى التي كان لها أثر كبير في تلك الرفعة وهذا الهبوط . واذا عزونا كل مدينة الى الدم الجرمانى وكل تقدم اليه ، فكيف تقصر تلك المدينة العربية التي ازدهرت يوما ما في الاندلس وطالت ماحولها من المدينت الاوربية طولا كبيرا

ان إبطال الدعوى الجرمانية بل تخفيفها عمل يسير هين . ولكن العمل الشاق الذي يتعب الأقدام ويجهد العقول ، انما هو تسبب نشوء المدينت وتسيب انحطاطها أو زوالها . الناس تمنح دائما كما يمنح الالمان اليوم الى جعل العنصر العامل الوحيد

(١) شعب ايطالى قديم كان يعيش في جبال أابيني الوسطى

(٢) شعب آخر قديم كان يسكن اواسط ايطاليا

قول كبير ولا عمل خطير ، ثم استكشفت أمريكا ، وبين عشية وضحايا انتقلت بريطانيا في وسط المسرح العالمي ، فلم يكن لها بد من تمثيل دورها ، وانتقل مركز المدنية الى غرب أوربا حيث بقى ويبقى ستين طويلا ، حتى أصبحت لفظة الغرب علما على المدنية ، وأصبحت انجلترا قائدة الأمم ، وإن كان لنصرها الجرمانى أثر في هذا الانقلاب ، فهو لا يقارب في شدته الاثر الذى للحوادث والتاريخ والجغرافيا معا . ولنفس تلك الاسباب زالت عن لبطاليا تلك السيادة التى كانت لها يوم تربعها في وسط المسرح العالمي ، في وسط البحر الايض المتوسط حينما كان هذا البحر عظيما لوقوعه في الطريق الى الشرق وأما ، ولكن كشف أمريكا قذفت إيطاليا حفيذة الرومان من بؤرة الرقعة الى طرفها ، وفي الوقت نفسه كشروا عن طريق الهند الآخر ، فلم يكن بد من نزول إيطاليا حفيذة الرومان عن قوتها وثروتها وجاها نزولا سريعا كسرعة الحوادث في ذلك المكان الغربى الثانى من سطح الارض . فهل نسب هذا النزول الى العنصر وهو الذى اليه نسبنا الصعود في سالف الدهور ؟

ثم المحترعات الحديثة وعلى رأسها البخار ، أحدثت في العالم السياسى والاجتماعى والاقتصادى احداثا أين منها أثر العنصر ؟ ان التاريخ في القرنين الفاتنين كتب بالفحم الاسود والحضارات قيس بعدد الاحصنة البخارية التى للامم ، حضارات بنيت على الفحم والحديد ، قالفحم والحديد عاملان جغرافيان أين منهما أثر العنصر ؟ قلوم يكن في صخور انجلترا وامريكا ذلك الذخر الكبير من الرترد الصلب والسائل لكان للتاريخ الأخير مجرى غير الذى كان برغم ذلك ودعاتها

ان الامم كالافراد تألف نجاحها من عاملين ، عامل الوراثة وعامل البيئة ، ومن عوامل البيئة العوامل الجغرافية التى ذكرنا مثلامنها ، ولعوامل البيئة هذه أثر لا يناهض في تهديم

الانسان أو تأخره ، وهى على الاقل توضع حداً جازماً لتقديمه لا يمكنه تجاوزه . والحضارات أتت انسانية نادرة نشأت من الارض في بقاع متفرقة ، كانت كلها نتيجة انفعال الانسان لبيئته وتفاعله معها وتغيير نفسه وحاله وفقا لها ، وعلى هذا لا يمكن مقارنة مدينة بدينة ولا مقدرة شعب بشعب الا إذا قارنا بينهما وهذا جد عسير ، ودون هذا لا يمكن إقامة الدعوى على أن قوماً غير أهل لمدينة لانهم وهم في بيئة خاصة خابوا فيما حاولوه . ان الماياس Mayas واليوكانان Yucatan قبيلان من الناس كبيران كانت لهما مدينتان زاهرتان في أمريكا الوسطى قبل الفتح الكولومبى بقرون فلرأى أنك قرتهما بالاعريق فربما خرجت بأنهما دون هؤلاء . عنصران لانهما لم يأتيا بمثل ما أتى الاعريق . ولكن اذا علمت ان هذين القبيلين كانا يعملان في عسر من الطيعمشاق ، فقد حرمتها الدواب وحرمتها الحديد ، فلم يعرفا هذه رسما ولا لهذا اسما ، وامتنحت بعد ذلك ما خلفا لوقما من نفسك مرقدا قد يناهض موقع الاعريق أو يعلوه احمد زكى

رسالة العلم

صحيفة عليية نصف سنوية أصدرتها جمعية خريجي كلية العلوم في مائة وخمسين صفحة كلها مليئة بالمقالات العلمية الممتعة في كل ضرب من ضروب العلم ، بأقلام طائفة من الشباب العاقل الرزين المتبحر ، مجموعة من بواكير لا تحصى عند القراءة بواكير ، كبت للجمهور المثقف العالي ، جمعت الى سهوله اللفظ صواب الحقيقة وفرة ولذة وحسن اختيار ، فالرسالة تنهى تلك الطائفة الكريمة بما اتتجت ، وتنتبط بالمعنى الذى أوحى لها الاسم الذى اختارته لصحفتها ، وترجو لهم التوفيق الدائم في جهودهم العلمية الكبيرة التى هى من جهود مصر وظاهرة من أمس الظواهر بمستقبلها الزاهر المرجو